راشد العودة الفضلي

إعلانات الأزياء النسائية المخاطر والمسؤولية

بناء على طلب تقدمت به مجموعة من طالبات جامعة قطر، الدارسات لمقرر (الأخلاق والمجتمع) سعياً منهن لنشر الوعي بأخلاقيات صناعة وتسويق الأزياء في قطر، يأتي مقالي هذا الأسبوع متناولاً هذه القضية استشعاراً للمسؤولية الملقاة على عاتقنا نحن الكّتابَ المواطنين تجاه الظواهر الاجتماعية وانعكاساتها، واستكمالاً لأهداف برنامج الدعوة والإعلام بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية التابع لكلية الشريعة بجامعة قطر، علماً بأن مثل هذه القضايا تلاقي اهتمامات حية فيما أطرحه من موضوعات عبر هذه الزاوية.

وإني إذ أحيي أخي الفاضل الدكتور زكريا عبدالهادي الأستاذ المشارك بكلية الشريعة على توجهاته الطيبة وبادرته الكريمة في تفعيل دور شركاء المسؤولية بالتصدي لهذه الظاهرة، فإني لأرجو من الله تعالى، أن يؤدي هذا المقال الهدف المراد، رغم ما تتسم به مساحات الرأي من طبيعة سردية وأفكار منثورة، إلا أنني سأتناول الموضوع بما يتلاءم مع الأعمال الجامعية التي تبحث في علاج تلك الظواهر والممارسات، وتحديداً (الإعلانات التجارية الخاصة بمجالات الأزياء) وما تنطوي عليه من مساوئ ومحاذير، مازالت تؤثر في أفكار جيلنا المعاصر، تأثيراً سلبياً يقودهم نحو تقليد عمليات التجميل وما ينجم عنها من مخاطر وآثار عديدة، اجتماعية وصحية ونفسية، كما أنها تنقل رسائل ومضامين ذات إيحاءات تخدش الحياء العام! ومع تكرارها وكثرتها، تحولت لدى نسبة كبيرة إلى مشاهد وعروض اعتيادية مألوفة، وهذا جعل من تلك المشاهد الدخيلة والصور الفاضحة أشياء يمكن السكوت عليها وتقبلها، بل إن بعضهم يمعن النظر في تفاصيلها ثم يمضي لحال سبيله، دون أدنى ردة فعل تدل على رفضه وإنكاره كواجب على كل مسلم!.. وآخرون يعتبرون تلك الإعلانات الساقطة نوعاً من أساليب الترويج المطلوبة في النشاط التجاري، وهنا تحول خطير ينذر بمزيد من التأثيرات السلبية السيئة على الفئات المستهدفة والنساء بالذات، كما يصرف تفكير الرجال نحو الإعجاب بعارضات الأزياء والانجذاب إلى بائعات الهوى على حساب زوجاتهم اللواتي يفقدن الاهتمام بهن تدريجياً، وهن يَفُقْنَ أولئك العارضات الغاويات في مقاييس الجمال ومواصفات الأنوثة، وكم سمعنا عن قصص وحكايات تروي لنا عن تجارب واقعية مؤسفة، حول فتنة الرجال، وانحرافهم بسبب تلك الإعلانات والانخداع بذلك الجمال المزيف!.. لكن دواعي الاحتراف وامتهان تلك الأعمال الدعائية الدنيئة، يوهم الرجال بتفضيل أولئك النساء ومظهرهن الخارجي، أما من حيث الأخلاق والعفة والحشمة، فالفرق واضح في الحالتين، وليس بحاجة منا إلى تعليق، مع التأكيد دوماً على فضل المرأة المسلمة وعفتها وطهارتها، لكنها مع هذا كله تلاقي ظلماً وتقليلاً من شأنها، وازدراءً لها، مقارنة بعارضات الأزياء، مما قد يدفعها إلى التنافس غير محسوب العواقب مع أولئك العارضات الأجنبيات، نظراً لطبيعة التركيبة النفسية والعاطفية لدى المرأة، وفي ذلك محاذير شتى باعتبار الدين والقيم والأخلاق، وهناك جوانب أخرى تتصل بظاهرة الإعلانات وأساليب الدعاية المرتبطة بالأزياء ينبغي التصدي لها ومعالجتها، فإن أغلب الملصقات والصور المثبتة على واجهات المحلات التجارية بأحجام وأشكال مختلفة قد أسهمت في قولبة صورة المرأة، وحصرها كأداة دعائية فارغة من أي مضمون سوى استغلالها كوسيلة أو سلعة يتم عرضها لإثارة الشهوات وتأجيج الغرائز، وتوظيف المرأة لأغراض الإغراء وترويج الخلاعة والإباحية، مع اتخاذ الإعلان والدعاية ذريعة لنشر وإشاعة تلك الأغراض الساقطة المنحلة في أوساط المجتمعات المسلمة.. وهذه تضاف إلى حلقات مسلسل تدمير الأخلاق، وطمس القيم، وتمييع الهوية الشخصية التي يجب أن يحافظ عليها المسلمون ويحرصوا كل الحرص على عدم تلاشيها أو اختلالها، مهما كانت الدواعي والظروف، ولا شك أن ذلك يندرج تحت أساليب الغزو الثقافي والأخلاقي والحملات المكثفة الرامية إلى تغيير معالم المجتمع المسلم.. ورأينا كيف أثرت تداعيات هذه الممارسات سلباً على مسؤولية تنشئة الأجيال وإعدادهم ليكونوا نبتة صالحة في بناء الأمة واستعادة دورها العظيم، أما من حيث اختلال معايير القيم الشرائية والاستهلاكية فحدث ولا حرج. وإزاء هذه الظاهرة فإننا ندعو بجدية إلى تضافر جميع الجهود للحد من آثارها وتجنب مخاطرها، ومن ذلك: زيادة الاهتمام ببث القيم والأخلاقيات الحميدة، والعمل على تكامل أدوار كافة الوسائط التربوية في هذه الناحية، ثانياً: رفع درجة الوعي بمخاطر وتأثيرات الظواهر السيئة المحلية منها والوافدة، وتحمل الجهات المعنية المسؤولية عن تطبيق أحكام شريعة الإسلام، ودستور هذا البلد الذي ينطلق من الدين الحنيف مصدراً للتشريع، وتفعيل الشق القانوني المتعلق بهذه الظاهرة، حيث إنه يعتبر كل محرم في الإسلام مجرَّما في القانون، مع التنبيه على تشديد الرقابة المطلوبة في مثل تلك الأنشطة الإعلانية، لمنع عرض المشاهد والصور الماجنة الفاضحة، وتطهير المجتمع القطري المسلم من ذلك الرجس المستورد، ولا بد من اتخاذ الإجراءات الرادعة بحق كل من يثبت تورطه في نشر وتكريس هذا الفساد، وبحق كل من يثبت تشجيعه بأي وسيلة، وبهذا يمكن أن نحمي مجتمعنا من شرور إعلانات الأزياء.

مع الدعاء بالتوفيق والسداد.